تصميم: دعاء السيد

نوفيلا

ساويزم

ولاء جمال يوسف

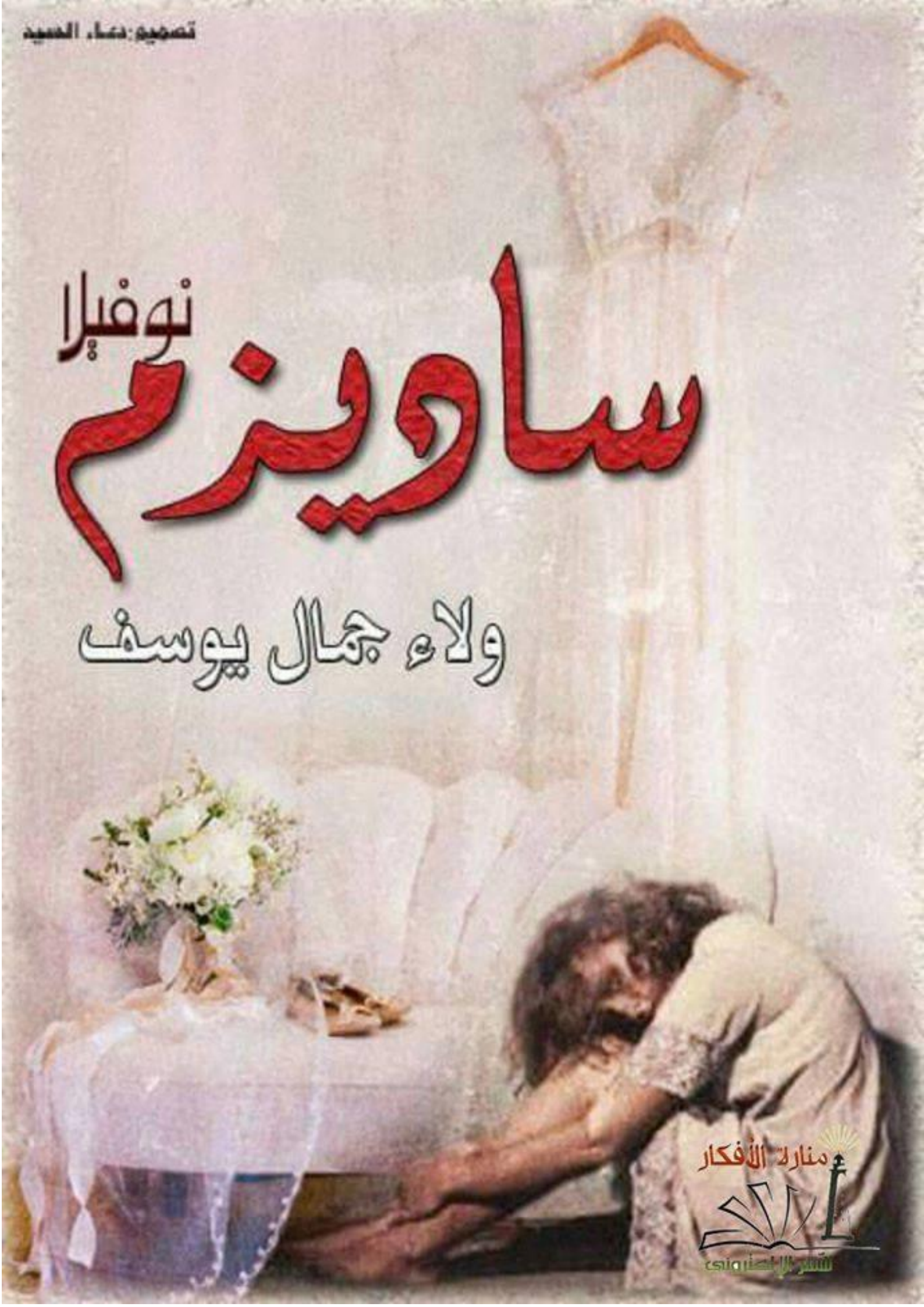

منارة الأفكار
للنشر الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة @ منارة الأفكار للنشر الإلكتروني

أغسطس 2015

ســـــاديـــزم

تأليف: د. ولاء جمـال يوسف

رسم غلاف: أ. دعـــاء الســيد

الموقع الإلكتروني للدار

/http://manaretalafkar.blogspot.com

صفحة الدار

https://www.facebook.com/pages/%D8%AF%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1/1042952242382412

سادیزم

د . ولاء جمال يوسف

الفصل الأول

قام فزعا علي صراخها الذي انتشله من أعماق نومه وانتفض جاريا إليها ليكتشف ماهية الأمر حتى وجدها تنتفض تكتم أنفاسها ربما لتمنع مزيد من الصرخات المحتبسة داخلها من الخوف واقفة أمام ذلك الصندوق الصغير الملفوف بكيس الهدايا والذي يبدو أنه قد انتزع عنه للتو ، بنظرة بسيطة هاله المنظر وعاود النظر إليها محتويها بذراعيه ومبعدا إياها عنه ، لم يكن إيهاب "ابنهما" أقل فزعا حين هرع إليها بعد سماع صراخها الأنف لكنه تسمر واقفا من هول المفاجأة فلم تكن رؤية هذين الأرنبين مذبوحين بتلك الطريقة أمرا هينا خاصة ذلك الرأس المبتور والعينان الجاحظتان والدم الجاف المتناثر حول العنق، حقا كان داعيا للرجفة خاصة حين تغلف جثتيهما بذلك الورق المفضض المخصص للهدايا .

ظلت ارتجافه جسدها وهي تحاول أن تشيح بنظرها عن ذلك المنظر ولكن هيهات فقد كان له كبير الأثر في نفسها نظر زوجها لها ثم لإيهاب طالبا منه بلهجة آمرة أن يأخذها بعيدا بينما تمالك نفسه وغلبته طبيعته كرجل شرطة واتجه إلي غرفته محضرا كيسا شفافا قام بارتدائه قبل أن يعبث بذلك الصندوق تحت مرآي ومسمع منهما محاولا سبر أغواره ومعرفة هوية مرسله وتلك الرسالة الخفية التي يحاول إيصالها لكن دون جدوى كان عبثه فتناول هاتفه بشكل آلي وطلب من معاونيه الحضور لرفع البصمات والفحص.

مرت الدقائق ثقيلة وهي تحاول أن تتمالك نفسها من هول ما رأت فما كان هينا أن تجد ما وجدت.

نظرت إلي ذلك الصوت الذي قطع شرودها متسائلا عما حدث ، في ارتجاف خرج صوتها مجيبا: كنت أنوي الخروج لعملي حين اصطدمت بذلك الصندوق ، في البداية تجولت بنظري فلم أجد أحدا فظننت

أنه لأحد معجبي جريدتي فابتسمت وحملته للداخل لفتحه حتى هالني ما رأيت فصرخت حتى حضر زوجي واتصل بكم .

انتقل الرجل ببصره إلي زوجها الذي بدا شاردا لكنه رفع كتفيه في حيرة : لم أجد شيئا ، لا بطاقة تعريف ولا أي أثر يدلنا علي الفاعل فقط ذاك الصندوق وهذين الأرنبين.

ودّ الرجل طرح المزيد من الأسئلة لكنه تراجع احتراما لحق الزمالة بينهما لكن سؤالا واحدا ما كان منه مفر فوجهه إليهم كل على حده وكما توقع كانت الإجابة أنه لا أعداء لديهم .

لملم الرجل أشياءه وكذلك الفريق المصاحب له بعد التحفظ على الصندوق بما فيه طالبا إبلاغه بأي جديد وصافحه ورحل.

كانت قد تمالكت نفسها قليلا حين نظرت إلي إيهاب الجالس علي يد مقعدها فربتت على يده مطمئنة وهي تلاحظ اصفرار وجهه وتلك الرعشة التي سرت بأوصاله والخوف المشتعل بعينيه وقد أدركت أن

منظر الدماء قد أثار لديه مخاوفه وذكره بالحادثة والتي لم يكن نسيها في يوم.

****

أسبوع مضى في هدوء نسبي لم يشأ بتكرار ما حدث مع بروز بعض التبريرات الواهية باحتمالية أن يكون الطرد ذاك قد بعث عن طريق الخطأ وأنهم غير معنيين بالأمر. .ربما كان ذلك أفضل التبريرات التي استكانوا إليها وتناسوا الأمر حتى طالعهم نفس الطرد السابق في نفس التوقيت قبل خروجها لعملها مباشرة لكنها تلك المرة استرابت منه ونادت زوجها ليفتحه.

ابتعدت لأقصي الردهة وهي ترقبه بينما فتحه هو في تحفظ لتواجهه جثتين لنسرين مفصولي الرأس بنفس الطريقة الوحشية السابقة ونفس البشاعة ، رغم توقعها الأمر لكن أعصابها خانتها وشهقت شهقة عالية قبل أن ترتمي علي مقعدها في خوف حقيقي سرى بأوصالها

حتى زاغ بصرها وتلاعبت بها الظنون والمخاوف تتقاذفها ، لم يتمالك نفسه هو الآخر وتعالى صوته بالسباب الحانق مما جعل إيهاب يهرول للخارج في خوف لتقع عيناه علي نفس المنظر فشعر بالغثيان ولم يتمالك نفسه رغم محاولته البائسة في التماسك لكن منظر الدماء أثار رجفة في جسده لم يستطع قمعها أو مدارتها عن أعين والده الذي نظر له باشمئزاز واضح من ضعفه بينما هرعت هي إليه تضمه إليها محاولة طمئنته واحتوائه كعادتها .

تملكت الحيرة ثلاثتهم ولم يكن هناك ما يملكون من تبريرات لتطفئ نيران فضولهم وهلعهم مما حدث. . ربما استغرق الأمر أكثر من ساعتين من التفكير دون الوصول لنتيجة مرضيه فلا أعداء لها وهو رغم طبيعة عمله إلا انه لا يذكر أن له عداوة مع احد أما إيهاب فبالرغم من مرور بضعة أشهر علي تلك الحادثة التي زلزلته إلا انه لم يبرح غرفته ولم يبرأ مما أصابه فلم يكن ليشكل أي عداوة .

تلك المرة أصر علي تعيين حراسه ولكن بشكل خفي لا تلحظه كي لا تثور ثائرتها .

****

الفصل الثاني

كان التوتر هو سيد الموقف فلا يكاد أحد يفلت من قبضته، بين خوف واستياء وحيرة قضوا أسبوعهم هذا ،ثم جاء الأسبوع الثالث ولكن تلك المرة الحدث كان مختلفا حيث لم يصل الطرد علي البيت كعادته بل وصل لعملها قبل وصولها حيث وجدته علي مكتبها بنفس الطريقة السابقة وإن كان أصغر حجما ، نادت الساعي محاولة في عصبية أن تعرف منه هوية الراسل لكنه تفاجأ مثلها بالطرد وأقسم أنه لم يره قبل حضورها فتركته ينصرف وهي تشعر بالحنق وقلبها يكاد يقفز خارج ضلوعها لكنها تماسكت وفتحته لتفاجئها جثه لفأر صغير مذبوح ، لا تعلم لما يصر الراسل المجهول ذاك علي تلك الطريقة الدموية المقززة لكن لدهشتها تلك المرة وجدت بطاقة صغيرة غارقة في الدماء فقرأت العبارة الوحيدة المدونة عليها" الأسبوع الرابع سيكون انتقامي ".

ألجمتها المفاجأة وفقدت وعيها ولم تشعر إلا بيد تمرر تلك الرائحة النفاذة أمام وجهها وزملائها متجمهرين حولها متسائلين عما حدث لها ، أفاقت وحاولت تمالك نفسها ، لم تشأ الرد علي أسئلتهم الفضولية والتي حاطتها حتى أصبحت مزعجة أكثر مما رأت ، في فتور ووهن أخبرتهم أنها بخير مما دفع كل منهم أن يتجه إلي مكتبه بينما تركوا خلفهم سحب فضولهم تتمنى أن تمطر معرفة لتروي أرضهم العطشى المتشققة .

ألقت برأسها المثقل إلى راحة يدها وتركت عقلها يعمل بسرعة فيما رأت وعرفت .

وهي تحاول أن تعرف تلك الحيوانات المذبوحة بتلك الوحشية من الذي أرسلها ولما وممن يريد الانتقام، لو كان حقا أحد أعداء زوجها لكان قد بعث له بالطرد ، لا أنه يعنيها هي تحديدا أو ربما . . . . . .

عند تلك النقطة توقفت عن التفكير وبلا وعي هتفت الاسم في جزع " أفنان" ، لم تنتظر أكثر ولم ترد علي أسئلة زميلتها التي هالها ذلك الرعب المرتسم بعينيها وقيدها الفضول بقيده الذي لا مفر منه، انطلقت بسرعة إلى سيارتها عائدة إلى منزلها ، في دقائق لا تدر كيف مرت علي نفسها وقلبها الوجل عادت إليه وفي لهفة فتحت باب حجرته لتجده لم يبرح فراشه بعد .

انتفض من نومه علي صوت الباب الذي فتح عنوة دون استئذان حتى وجدها أمامه تلهث ولا تكاد تلتقط أنفاسها ، اعتدل في فراشه متسائلا بعينيه لكنها لم تجبه وضمته إلي قلبها فأثارت خوفه أكثر فانتزع نفسه من بين ذراعيها متسائلا عما بها .

حاولت التقاط أنفاسها قبل أن تسأل إن كان والده بالمنزل فحرك رأسه نافيا ، أخذت نفسا عميقا قبل أن تنطق في وجل : أفنان

اتسعت عيناه في دهشة حين سمع الاسم فقالت مكملة: وصلني اليوم طردا لفأر مذبوح ، فأر واحد ونسرين وأربنين إنها حروف اسمها تلك الطريقة التي كنتم تتحدثون بها أوائل حروف الكلمات ، لم يكن صدفة أو خطأ . .كل شيء مقصود واليوم جاءني التهديد واضحا بالبطاقة ، في الأسبوع الرابع سيكون الانتقام.

صمتت برهة لترقب قسماته التي كساها الرعب وطفرت عبرة من عينيه فضمته في حنان إليها: كم تمنيت أن ينتهي الأمر عند هذا الحد ، ألم يكف ما لاقيت حتى يعيدوا النبش فيما مضى ،إلا يكفي الألم الذي يسجنك بين طياته فلا تستطيع الفكاك منه إلى الآن .

انتزع نفسه من أحضانها ماسحا تلك الدموع المتنافرة مع ملامحه الرجولية وقال بصوت واهن كانت قد نسيت نبراته مع طول صمته: لقد كان حادثا صدقيني ، أنا . . .

قالت تقاطعه بثقة: نعم أعلم أنه ليس ذنبك لكنهم لم يصدقوك .

قال بآسي ينضح من كل معالمه وبخوف اعتاد أن يلازمه منذ نعومة أظافره : هل ستخبرين أبي ؟

بجسم أجابته : لا ، لابد أن يبقي بعيدا عن الأمر ، سأذهب إليهم ، أعلم أن المفاجأة ستشلهم عن التفكير ، إن كانوا لا يصدقون فليعرفوا الحقيقة إذن ليرتاحوا .

هنا تخلي عن دوره المستكين ولأول مرة ترى الحسم في كلماته وكأنه شخص آخر من يحدثها : لن يعرف أحد الحقيقة

_لكن . .

قال مقاطعا : عديني ألا تفعلي ، يكفي ما لقيت من ظلم .

كالمغلوبة علي أمرها اضطرت لقطع ذلك الوعد وان كانت غير مقتنعة به ولا تعرف عن أي ظلم كان يحدثها لكنها آثرت ألا تفتح الحديث في

ذلك الأمر ، تركته يجتر أحزانه في وحدته لتلقاهم دون أن تعرف أن هناك من يراقبها بالفعل منذ الحادثة الأخيرة للنسرين .

****

منذ ثماني أشهر . .كان كل شيء معدا كما تم التخطيط له ، ذلك البوفية الفخم المستورد من فرنسا وتلك القاعة المجهزة و"الكوشة" المحفوفة بأغلى الورود الطبيعية ، لم يكن ينقصه شيئا تماما كما يليق بابن أوحد للواء شرطة ذي مكانة مرموقة ونفوذ لا حدود له، بهيا كان في طلته كما كانت هي إلى جواره وضاءة الحسن بثوب زفافها الأبيض المطعم بحبات لؤلؤ أضفت جمالا خاصا عليها .

كليلة صيفية بديعة من إحدى الليالي الألف لشهرزاد انقضت الليلة والفرح يملأ القلوب ، انتهى العرس كعادة الحكاية الشهريارية بمقتل العروس بليله العرس لكنه لم يكن القاتل ولم يكن قد نادى الجلاد .

بضع ساعات وكانت سيارات الشرطة والإسعاف تحتل الخلفية بالكامل تحت الفندق الذي قررا قضاء ليلة زفافهما فيه.

مدرجة كانت بدماء تكسو وجهها لا تكاد تبين ملامحها أثر سقوطها من تلك الشرفة بحجرة نومها مرتدية منامة شيفون كما ينبغي لعروس بليلة عرسها لكنها ما كانت ملائمة لقتيلة لفظت أنفاسها للتو بعد ساعات من زفافها .

كان إلى جوارها في شرود مصدوما لا يكاد يعي ما حوله يضمها إلى قلبه ويمحو تلك الدماء عن وجهها ويقترب بسمعه منها علها تعود إلى الحياة وينبض قلبها بين ذراعيه يستجديها أن تعود . .أن ترد عليه . .أن ينبض قلبها . .أن تكذبهم وتعود إلى عالمهما الوردي الذي طالما نسجاه سويا بخيوط من حب ونسيج من العطاء والتضحيات والتحديات التي واجهها كي يكلل حبها بالزواج ولكن هيهات فما كان لجسد ميت أن ينبض بالحياة .

حاولوا إبعاده لكن ما كان منه إلا أن تشبث أكثر بها وهو يتمتم بكلمات لا يسمعها سواه كترنيمة يتلوها لتعود الحياة لذلك الجسد الذي فارقته منذ قليل لكن ترنيمته كانت ناقصة وقبلته لم تعيد أميرته للحياة .

انتبه لصوت أمه باكية تحاول أن تنتزعها من أحضانه وهو ينظر شاردا لا يكاد يدرك شيء مما حوله لا يصدق ادعاءاتهم يردد اسمها في ذهول بينما ضمته هي إلى ذراعيها في ألم وحسرة علي فرحته المبتورة وعرسه الذي آل إلى مأتم.

لم يكن والده أقل ألما لكنه بدا متماسكا للنهاية فلم يكن للضعف مكان في حياته يوما، تابع التحقيقات بقلب مكلوم وملامح جامدة لا تنم عن شيء كعادته.

لم يكن إيهاب وقتها بحال تسمح لهم باستجوابه لكن والده أبى إلا أن يجري التحقيق حتى ينتهوا من الأمر ،بعد محاولات عديدة لتهدئته

تمالك بعض من نفسه وأخبرهم أنه لم يكن يدر سوى خروجه من الحمام فوجدها تبكي وتنتحب وما إن اقترب منها مستفهما حتى جرت نحو الشرفة وسقطت أمام عينيه وغاب مرة أخرى في نوبة بكاء هستيرية فقرروا إنهاء التحقيق عند هذا الحد خاصة واعتباره حادثة انتحار خاصة عندما رفض والدها توجيه اتهام لزوجها رأفة بابنته كل لا تشرح جثتها .

قيد الحادث انه انتحار نتيجة "جينوفوبيا" دفعتها إلى أن تلقي بجسدها من الشرفة رهبة منه فلقت حتفها في الحال وأغلقت القضية عند هذا الحد لكن ألمه لم يتوقف يوما منذ فراقها فقد ذهبت ببعض من روحه معها وما عاد هو كما كان.

****

في شرنقته ظل متقوقعا ، شهور لا يحدث أحدا ولا يقابل أحدا ، لم تكن أمه بأقل حزنا منه لكن خوفها عليه كان أقوى فحاولت بكل

الطرق إخراجه مما فيه حتى وان لزم الأمر طبيبا نفسيا ، هكذا أخبرته حين نظر لها لائما رادا عليها بتهكم: أتريدين حقا أن يقال عن ابني الوحيد انه قد جن ، كلا لن يحدث أبدا، إن كان يريد السفر فليسافر "ويغير جو "لكني لن أسلمه بيدي لمصحة عقلية وطبيب يتلاعب بعقله بالعقاقير والمهدئات وجلسات علاجيه وثرثرات عقيمة لن تثمر عن شيء .

أمام حدة رده وإصراره لم يسعها سوي محاولة احتوائه وتوفير سبل الراحة والنسيان لوحيدها بقدر استطاعتها .

****

الفصل الثالث

سحبت نفسا عميقا قبل أن تطرق الباب بعد أن قررت أن خير وسيلة للدفاع الهجوم ولم تكن تملك غيره بديلا.

أتاها الصوت بعيدا متسائلا عن هويتها ، للحظه ارتبكت ولم تدر بما عساها أن تجيب لكنها عادت لثباتها قائلة في حزم: أنا والدة إيهاب.

في ذهول فتحت لها المرأة الباب وملامح الصدمة جلية علي وجهها بينما الحزن يتصدر كامل المشهد في تلك الأخاديد التي حفرت مجراها تحت العيون والمنزل الذي بدا انه اكتسى بالسواد بعد أن قطف الموت زهرته.

أفسحت لها المرأة الطريق لتدخل والذهول يتراقص في مقلتيها ودعتها للجلوس.

حاولت قمع التردد داخلها واستدعت قوة وصرامة كانت قد تعلمتها من زوجها خلال تلك السنون وقالت بثقة زائفة: ممكن أعرف السبب في تلك الرسائل الآن، لقد انتهى الأمر منذ مدة والتحقيق أثبت أنه كان انتحار إذن ماذا تريدون منا ؟ !

ظلت المرأة علي صمتها وذهولها الجلي حتى قالت في غضب لم تملكه فملكها وافقدها رزانتها المزعومة منذ دقائق : أعرف جيدا أنكم من بعثتم برسائلكم إلينا فلا داعي لإنكار الأمر أو إدعاء الجهل به.

خرج والد أفنان في تلك اللحظة قاطعا كلامها في هدوء طالبا من زوجته أن تعد للضيفة كوبا من القهوة فقامت ممتثلة لأمره دون أن تنطق بحرف وجلس هو بهدوء أمامها: خير ، ماذا حدث وعن أي رسائل تتحدثين ؟

قالت محاولة استجماع نفسها: اسمعني جيدا يا حاج ، اعرف جيدا انك تؤمن بقضاء الله وقدره وأن الموت والحياة بيد الله وليس لأحد دخل فيه

قال مؤمنا علي كلامها: ونعم بالله.

قالت مستبشرة خيرا من حديثه: موت أفنان رحمها الله كان حادثا ولم يكن لأحد يد فيه ويشهد الله أن حزن إيهاب عليها لا يقل عن حزنكم وإنه إلي تلك اللحظة يعاني مما حدث ولم يعد كسابق عهده فقد ترك عمله وامتنع عن ملاقاة رفاقه واعتزل الجميع ، لقد أصبحنا نسمع صوته صدفة في البيت ولازم غرفته لا يخرج منها وصورتها لا تفارقه وكأن روحها قد جسدته فيأبي أن تنقشع ذكراها من داخله.

قال بوهن محاولا قمع دمعه في منبتها حتى لا تغلبه وتنساب: أعلم جيدا كم كان يحبها كما كانت تحبه ولولا ما حدث لكانا أسعد زوجين علي وجه الأرض ولكنها إرادة الله ولا مانع لقضائه.

قالت باستعطاف: إذن يا حاج ما الداعي لتلك الرسائل التي تبعثوها إلينا ؟ !

قال مستفهما : عن أي رسائل تتحدثين ؟

كان الكذب أهون عليها من رائحة الصدق تلك التي تشتمها في صوته وقد كست روحه فقالت موضحه: جثث الحيوانات التي تصل إلينا كل أسبوع وآخرها اليوم.

وأخرجت له البطاقة التي كانت بحوزتها ، فاجأتها ملامح الاندهاش التي علت وجه الرجل الذي اقسم انه لا يعلم شيئا عن تلك البطاقة ولا تلك الرسائل التي تصلها .

تمنت لو أنه يكذب لكن لم يكن بداخلها ما يكذبه فخرجت وقد ازدادت حيرتها وكلماته ظلت تتردد بداخلها" من يفعل ذلك ليس إلا مريض نفسي ولا يسعه سوي أن يهدد فقط ، ابحثوا عن شخص لم يطأ بالكم في يوم"

****

كان قد استشاط غضبا من كل ما عرف وما أخفته عنه زوجته حتى تلك الزيارة ، اتجه من فوره إلى منزله يحمل بداخله ألف استفهام وغضب جارف لا يجعله يري ما أمامه لكنه عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة واستدار عائدا للمنزل الذي تركته هي للتو عازما وضع كل شيء في نصابه الصحيح فما عاد لديه شك في هوية الراسل بعد تلك الحقائق التي وقف عليها وزيارتها تلك التي ربطت لديه الخيوط وأكدت شكوكه التي لم يشأ أن يصرح بها من البداية.

دقائق وكان بمنزلهم أمام نظراتهم الدهشة لكنه لم يمهلهم وقتا للحديث، كان تهديده واضحا لا مواربة فيه ، بنبره يملؤها الحزم والقسوة فلم يمنحهم فرصه للتبرير: أنني للآن أراعي النسب الذي كان بيننا والذي لم أكن راضيا عنه من البداية ويمكنني تفهم حزنكم علي ابنتكم لكن لصبري حدود لا يجب أن تتعدوها ، يمكنني أن افتح محضرا حالا

واثبت فيه تهديداتكم الصريحة تلك لكني لا أريد النبش فيما مضي من أجل سمعه ابني فقد كانت زوجته علي كل حال ولا أريد أن أخوض في عرضها .

أمام تلك الكلمات والإعصار الذي هاجمهم به كان صبر الرجل قد نفذ فقال بجده: إنني احترمك فقط لأنك ببيتي وتركتك تفرغ ما بجعبتك علك ترتاح باتهامك لنا لكن إلي هنا وكفي يجب أن تعرف أنني لم اتهم ابنك بقتل ابنتي فقط من اجلها ولأنني لم أشأ أن تشرح جثتها لكن هذا لا يعطيك الحق بالحديث عن عرضها فقد كانت ابنتي شريفه ولن أقبل أن يأتي أحد بذكر اسمها بسوء .

كان قد احتد الحوار بينهما أب ثائر لشرف ابنته التي واراها الثري والآخر يدافع بكل ما أوتي من قوه عن حق ابنه في حياة آمنة ، ابتسم في تهكم وقال مستفزا إياه: حقا، أكانت ابنتك شريفة حقا ؟ ! !

حسنا عليك أن تعرف أنني تكتمت الأمر فقط من أجل سمعتي

ومكانتي وسمعة ابني لكن يا سيد ابنتك لم تكن عذراء وقد سجل ذلك بالتقارير وقد أكد ابني انه لم يلمسها وأنها فزعت منه لذا انتحرت لكنها ليست الحقيقة، أتعرف ما هي الحقيقة؟ !

اقترب بوجهه منه بشكل استفزازي مكملا في وقاحة : الحقيقة أنها خشيت من الفضيحة والعار لذا ألقت بنفسها من الشرفة.

هوت صفعة مدوية من الرجل علي وجهه وهو يكاد يلهث من فرط انفعاله بينما انخرطت أمها في بكاء ونحيب وهي تحسبن فيه لاتهامه الباطل لابنتها بينما طرده الرجل للخارج فقال وقد استشاط غضبا من تلك الصفعة التي أذهلته منذ قليل: يمكنني ببساطة النبش في الماضي وإخراج تلك الأوراق وقتها لن تلوموا لا أنفسكم فكروا جيدا ،أنا لا أريد "شوشرة" فقط دعوا الأمر عند هذا الحد وتوقفوا عن تلك الرسائل البغيضة وإلا ستكون العواقب وخيمة أما تلك الصفعة فسأجعلك تدفع ثمنها غاليا أعدك .

خرج صافقا الباب خلفه مخلفا إعصار خلفه دون أن يلتفت إلى الرجل الذي سقط أرضا ممسكا بقلبه وملامحه تنم عن الم شديد يعتريه لا يستطيع مجابهته حتى صرخت زوجته طالبه العون من جيرانها حتى يحضروا سيارة الإسعاف .

****

الفصل الرابع

فك رباطة عنقه التي تقيده وهو يشعر بثقل ذلك السر الذي اضطر لكشفه بعد تلك المدة ضرب بيده مقود السيارة وهو يلعن الحظ الذي جعلهم يفكرون في الانتقام الآن وأخذ يمني نفسه أن يتوقف الأمر عند هذا الحد ألا يضطر للخوض أكثر في ذلك الأمر.

******

عادت منهكة القوى حائرة النفس مضطربة الفكر بعد زيارتها تلك التي زادت من مخاوفها فإن لم يكن هم فمن أذن يمكنه أن يبعث لها بتلك التهديدات الواضحة وعن أي انتقام يتحدث ولماذا تحديدا الأرنبين والنسرين والفأر أن لم يكونوا كناية عن اسمها ؟ !

لاقاها إيهاب بوجه تعلوه صفرة الموت ويعتصره القلق والانتظار ،ربما كان خائفا حقا من النبش في الماضي والذي لا يعرف حقيقته سواه وربما خشي عواقب ذلك الانتقام الذي ذكره الراسل بالبطاقة،

أشفقت عليه من معاناته والتي تستشعرها داخلها وتعذبها ، طمئنته أنها لم تخبرهم بشيء عن الحقيقة المستورة ولكنها بيأس أخبرته أنهم ليسو من بعثوا الرسائل ، بدا وجهه جامدا خالٍ من أي تعابير وهي تحكي له تفاصيل اللقاء .

قطع حديثهما صوت مفتاح الباب منذرا بقدوم مبكر غير اعتيادي لوالده في هذا الوقت مما سرى الرعب بأطرافه وجعله يلتصق بها كطفل تائه .

شيء ما بصوت وهو يناديها أنذرها بحمم بركانيه علي وشك الانفجار ، هرعت إليه وهي تحاول أن تمحي أحداث يومها عن وجهها كي لا يقرأها لكنه فاجأها بسؤاله عن إيهاب ولم ينتظر ردها فما لبث أن ناداه، أتاه فزعا مضطرب الخطوات زائغ العينين فباغته بقوله :لقد قابلت والد أفنان اليوم، لا تقلق كل شيء سيكون علي ما يرام الأمر انتهي .

جحظت عيناه وهو يسأله بفزع: هل أخبرتهم شيء، هل قلت لهم الحقيقة؟ !

نظر له باستخفاف: هل كنت تريدني أن اتركهم يعبثوا بنا كما يشاءون، أم انتظر أن ينفذوا تهديدهم وانتقامهم الموعود والذي خبأته عني والدتك؟

كان في نبراته تأنيب واضح ينبؤها أن دورها لم يحن بعد .

جلس علي المقعد وكل آيات الإحباط والوهن تكتنفه متسائلا: لماذا ؟لماذا ؟ ؟

امسك به من ذراعيه بقوة مجبرا إياه علي الوقوف ناظرا إلى عينيه قائلا في حزم: إلي متى سأعلمك ، لن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب ،إلى متى لن تفهم كيف تسير الدنيا ، متى ستصبح رجلا ، هل كان علي أن انتظر أكثر ، لماذا اخبرني ؟ ؟، فقط لأنك أحببتها وخدعتك؟ .

حاول التملص من قبضته ووضع يديه علي أذنيه كي لا يسمع المزيد لكنه أبعدهما في حده واجبره أن يقف ثانية أمامه مكملا كلامه: إلى متى ستحبس نفسك داخل حجرتك كطفل أبله صدم لان لعبته الأولي قد كسرت، لماذا لا تفهم أنها لا تستحق نبض قلبك لها، لم تستحق يوما أن تفكر فيها، لقد حذرتك من قبل، هم عالم ونحن عالم آخر مختلف لكنك أصررت عليها وساندتك أمك وليتها لم تفعل وليتني لم أوافق من الأساس فها هي النتيجة أنها خانتك قبل حتى أن تزف إليك وقررت أن تكمل خداعها بزواجها منك كي تكون مغفلا للنهاية وربما أرادت انساب طفل لك ليس بطفلك ولكنها إرادة الله التي رأفت بك وأنهت الأمر عند هذا الحد لتنتهي من حياتك و. . .

هنا هتف صارخا :كفى . .كفى

كانت المرة الأولي التي يتصاعد فيها صوته عاليا هكذا في حضرته ، تدخلت أمه بلطف ملامسه ذراعه علها تحتويه وتطف من ثورة

غضبه التي لا يعلم نتائجها سوي الله لكن البحر الثائر لن يوقفه رقيق النسمات.

نزع ذراعه من يده هاتفا: اتركيني لم اعد احتمل أكثر

ثم نظر له مكملا ثورته التي ولدت من سنوات وحان أوان اندلاعها:

إلى متى ستظل أنت الجلاد الذي يحاسب الجميع ، إلى متى ستعتبرني طفلا أبله لا يفقه من أمره شيئا ودائما يحتاج لإرشاد، لقد اكتفيت ، ثلاثون عامل وأنا لا أبرح غرفتي سوى بإذنك، لا أتنفس قبل أن تسمح أنت لي ، كل شيء بمواعيد وحساب حتى مواعيد استحمامي وأصناف أكلي، أصدقائي تختارهم لي بما يتناسب مع مصالحك ومستواك الاجتماعي الذي لا تفتا تذكره في كل حين ، تحكمك في كل شيء، وكأنك الإله الواحد لماذا كل هذا الاستعباد الذي كبلني فلم استطع الإفلات منه يوم،لم يكفك كل الظلم الذي لاقته أمي معك لكنك قررت أن أكون أنا الآخر عبدا لرغباتك وأهوائك وان اعترضت

رغباتك وأوامرك لا ألاقي سوي الحبس بغرفتي وربما التقييد أحيانا كما كنت تفعل معي بصغري، لم أشعر يوما أنك أبي الذي يخاف علي كل كلماتك كانت أوامر صارمة لا تقبل النقاش أو الجدال أنني حتى لم أكن أجرؤ لأخالفك ، أفنان كانت الشيء الوحيد البعيد عن حساباتك لذا كرهتها أنت وأحببتها أنا واردتها بكل ذرة في كياني ، هي الشيء الوحيد الذي أشعرني أنني كائن حيي له إرادة ونبض وقلب وشخصية، صدقني لم يخرجني من قوقعتي غيرها قوقعتي التي سجنتني بها سنين طوال حتى ضاقت أنفاسي بصدري ، بوجودها فقط كان يمكن أن احيي لكن لقدر استكثرها علي وتحالف معك ضدي فأبى أن يتركها لي كنسمة نديه في صحراء حياتي القفرة ،الآن تخبرني أنني كنت مخدوع فيها ، إنها خانتني وأنني كنت مغفلا بحبها ، لا يا أبي الفاضل لم تكن هي من خانتني ولم تخذلني بل ذلك المسخ الذي صنعته بيدك هو من غدر، أنا الذي خذلتها .

الفصل الخامس

أخبروك كلابك أنها لم تكن عذراء أليس كذلك؟ من سمح لهم بلمسها من سمح لهم بتدنيس جسدها الطاهر ، من قال إني أردت ذلك إنها فقط رغبتك اسمع إذن مفاجأتي لك نعم لم تكن عذراء فقد تزوجنا قبل وفاتها بدقائق أتدري كيف؟ !

قهقه عاليا بشكل أرعبهم خاصة والدته والتي لم تعتد منه تلك الحدة في الحديث ولا القدرة علي المواجهة كما هو الآن ،أكمل حديثه: لقد كان الأمر عنوة فلم أمهلها وقتها ، دقائق وكنت قد انتهيت منها بوحشية ذئب _كما علمتني_تمكن من فريسته فمضغها دون هوادة وهي تلفظ أنفاسها حتى أشبع جوعه ،لم أستمع إلى رجائها وتوسلاتها أن ادعها ،لم توقفني دموعها الندية ،وكأني لم أعشقها يوما ، كانت فريستي السهلة الضعيفة وكنت لأول مرة الجلاد فقد منحتني قوتي المسلوبة ورجولتي المنتهكة بمنزلك فانتهكت جسدها وامتهنت

روحها، انه العنف الذي تربع بنفسي سنوات طوال ، كنت أتمناه واستعذبه في مخيلتي مع كل أحلامي منذ طفولتي فقط أنا وحدي الجلاد والكل ضعاف تحت سطوتي ، كل ليلة نفس الأحلام تراودني حتى أفيق علي واقعي المنكسر وقوتي المسلوبة ،أتذكر ذلك الطفل الذي ضربته بالمدرسة حتى كسرت رجله، أعتقد أنك لم تنس الأمر ، لم يكن قد أساء لي لكن فقط ضعفه هو ما جعلني أفرغ طاقة غضبي وكبتي به، ضعفه ما أغراني بضربه،

وهذا ما حدث معها ضعفها فقط أشعرني إنني رجل وكان الثمن أن فقدت حياتها ، حظها العاثر هو ما تركها تحيي بعد ما فعلت بها بدم بارد وتركتها لأستحمم، عندما عدت فزعت لمرآي ربما خافت أن اكرر فعلتي الشنعاء ثانية وإن كنت لا أكذبك كنت أنوي ذلك حقا، كانت خائفة تحاول تجميع أشلائها المبعثرة ،كانت تود الهرب ربما لتستغيث من ذلك الذئب الذي نهشها وتركها مسجاة بدمائها دون

أدنى إحساس ، جرت إلى الشرفة وأنا خلفها لا أرحم ضعفها ولا خوفها حتى زلت قدمها وسقطت وقتها فقط أفقت مما كنت عليه، هرعت إليها مذهولا لا أكاد أصدق أنها سقطت للتو أمام ناظري هرعت راجيا الله أن يكون ذلك كابوسا أفيق منه لعالم آخر هي فيه إلى جواري عروسي التي عشقتها والتي بعثت الحياة في قلبي الميت ، هرعت إليها لأسمع آخر أنفاسها وهي تصعد لبارئها شاكية راجية عدل وقصاصة ممن ظلمها .

ساد الصمت محمول علي أوتار الصدمة محفوفا بالتساؤلات لا يقطعه سوي صوت بكائه الهستيري وأنفاسه المحترقة وهو ينعيها ويتردد اسمها علي لسانه بندم بينما سقط قناع التماسك الذي غلف والده به نفسه لأول مرة وارتمي علي اقرب مقعد مأخوذا غير مصدق لما سمع للتو وهو يتساءل عن المسخ الذي رباه بمنزله وصنعته يداه في غفلة منه ،لم يفق من شروده إلا على صراخ زوجته وهي تحتضنه وتضمه إلى

صدرها وأطرافه تتصلب وجسده يتشنج وينتفض، هرع إليها محاولا احتوائه وهرع إلى فتح فمه ووضع قطع من القماش بداخله مانعها إياه من الضغط علي لسانه بأسنانه بينما هرعت هي لتطلب الإسعاف.

******

في نفس الوقت كان حماه بمشفى آخر ينازع الموت بعد تلك الاتهامات التي لم يتحملها قلبه الوهن ، ما كفاهم موت ابنته لكنهم قرروا نبش عرضها بعد وفاتها وحزنهم لم يفتر بعد .

كان قد استرد بعضا من عافيته بعد تلك النوبة القلبية التي هاجمته فطلب من زوجته أن تتصل بالمحامي، لم تكن اقل منه إصرارا علي فتح ملف القضية لكنها حاولت أن تثنيه ريثما يسترد كامل عافيته لكن الجرح النازف داخله أبي إلا أن يثأر لأبنته فلم تجد بدا من الاتصال بالمحامي وطلبا منه إعادة فتح القضية واتهام زوجها بقتلها .

****

"صدمة عصبية" كانت تلك الجملة التي نطق بها الطبيب بعد فحصه وإجراء اللازم وطلب منهم بروتينيه معتادة بالا يعرضوه لأي ضغوط أو انفعالات وتركهم بعد أن أعطاه إبرة مهدئة ووصف لهم بعض الأدوية ونصحهم بتركه تحت الملاحظة الليلة خوفا من أي انتكاسة.

امتثلا لأمره وظلت والدته إلى جواره بينما اتجه والده إلى مكان آخر .

كانت تداخله شكوك كثيرة فقرر وأدها في مهدها قبل أن تنمو فتلتهمه، لم يكن يسيرا عليه أن يصدق كل ما قاله ابنه تمني لو أنها كانت انفعالات غضب ليس إلا وان ما قاله ليست الحقيقة ، طوال الطريق ظل يمني نفسه بذلك ربما رغبه منه في حماية ابنه وربما كي لا يثقله إحساس الذنب الذي استشعره أول مرة من حديث إيهاب.

ذهب إلى وكيل النيابة المسئول عن قضية أفنان في ذلك الوقت وبشكل ودي مكنته منه سلطته طلب منه الإطلاع علي ملف القضية

وذلك التقرير المرفق به والذي قرأه بعين خبير مدرب حتى أوقفته تلك الجملة" ولم تكن الضحية عذراء كما ورد إلينا من تقرير الطبيب الشرعي وذلك من الفحص المبدئي للجثة دون تشريح بناء علي رغبه ذويها وقد تبين وجود تهتك واضح في الأعضاء التناسلية مما يثبت حدوث اغتصاب" .

شعر بدوار يكتنفه وانه يكاد يفقد وعيه إذن فهو لم يكن كاذبا بشأن ما ذكر عن اغتصابه لها قبل وفاتها ولم يكن الأمر انتحار لأصابتها ب"جينوفوبيا" كما ذكر بالتحقيقات.

شعور غريب يكتنفه ، إنه إيهاب ابنه الذي رباه كما ينبغي أو هكذا ظن يصبح ذئبا بشريا وكانت ضحيته زوجته التي أحبها وناضل من أجل الزواج بها ،

لأول مرة يشعر بمدي حماقته وندمه علي ذلك الكلام الذي قاله لوالدها ، إنه بذلك يقدم ابنه لهم لقمه سائغة علي طبق من فضة إن هم فكروا في فتح ملف القضية من جديد .

لكن شيئا واحدا أراح باله كان يعلم جيدا أن النيابة سترفض إعادة تشريح الجثة بعد مضي أكثر من ستة أشهر علي دفنها خاصة أنها غير محفوظة بثلاجة المشرحة لان الجسد قد تحلل وهنا حمد الله أنهم لم يرضوا بتلك المهانة لابنتهم وقرروا دفنها بشكل طبيعي إكراما لها ، إذن فالدليل الوحيد هو ذك التقرير بين يديه ، ارتسمت ابتسامه ماكرة علي شفتيه وأغلق التقرير وانصرف وقد أثلج صدره وقمع خوفه.

****

الفصل السادس

في اليوم التالي عاد إيهاب إلى منزله بعد التوصيات الشديدة من الطبيب بالا يتعرض لأي انفعالات عصبيه،دق الجرس بعد قليل ففتحه والده ليجد ذلك الخفير حاملا بعض الأوراق بيده التقطها منه مارا بنظره عليها ثم وقع بالاستلام وتركه يرحل، ها هم لم يخيبوا ظنه وبدأت لو كان مذنب.

****

ظل إيهاب مغيبا فتره عن كل ما حوله بينما تجنبا الإشارة إلى ما قاله بأي شكل حتى علمت والدته بالصدفة أمر تلك الدعوي فلم تتمالك نفسها وثارت بوجهه لأنه اخفي عليها ذلك وأنها لولا ذلك المحضر الذي وجدته بالصدفة لما علمت بالأمر ، نظر لها مستخفا وقال ببرود: لو كنت أخبرتني بأمر البطاقة وزيارتك لهم ما كان حدث

شيء من هذا، وما كانوا عرفوا أبدا بالحقيقة التي عرفت لماذا أصر إيهاب علب إخفائها عنهم.

قالت بخوف حقيقي متناسية غضبها منذ قليل: هل يمكن حقا أن يكون صادق في كلامه ؟ أنني لا اصدق أن إيهاب يمكنه أن يفعل ذلك.

قال موليها ظهره غير مبال بخوفها محطما كل أمانيها الزائفة ونبرة آسي تغلف صوته :لا صدقي لقد فعلها بدم بارد كما اخبرنا إلى الحد الذي أوصلها للخوف منه ففضلت الموت علي البقاء معه تحت سقف واحد فجرت للشرفة ولقيت حتفها أو ربما . . . . .

بتر كلامه وقد جحظت عيناه فزعا من ذلك الخاطر الذي راوده فقالت بلهفه كمن قرأت أفكاره: لا، لا يمكن، صدقني لقد كان حادث وقد زلقت قدمها وسقطت لقد كان قضاء الله.

قال وقد تملكه غضب جنوني من تلك النقطة التي غفل عنها : ولماذا لا يكون قد القي بها من الشرفة بعد ما فعل بها خشية أن تفضحه، كل شيء متوقع أننا أمام مسخ لا ندري ماذا يمكنه أن يفعل.

قالت بجزع: لا يمكن أنه ابني وأعرفه جيدا .

قال بسخرية لاذعة: تعرفينه جيدا ! !

ثم أكمل بجده: وهل كنت تعرفين انه سيغتصب زوجته التي أحبها يوم عرسهما ؟ !

قالت بجده مماثلة:أنت السبب في كل ما حدث، قسوتك عليه وسيطرتك وتحكمك الزائد هما ما دفعاه لذلك، طبيعة عملك والتي فرضت قسوتها علي كل شيء ، كم عانيت معك لكني تحملت فقط من اجله، من أجل أن ينشأ في بيئة طبيعية بين والديه، كم كنت غبية حمقاء، فاقد الشيء لا يعطيه ولكم افتقدت الحب والأمان معك فكيف كان يمكنني أن امنحهما له، كم كنت مخطئه حين ظننت إنني

سأمنحه الشجاعة لمواجهتك ولكن النتيجة انه أصبح ضحية أخرى بقمعك لحريته وشخصيته .

أطرق وهو يستمع إليها لكنه قال بشرود: ربما عندك حق ، لن أدافع عن نفسي لكن ليست تلك المشكلة الآن لقد تم تحريك الدعوي وسيتم استدعاؤه قريبا للتحقيق معه ، عليك إقناعه بعدم التفوه بكلمه مما قالها لنا ، عليه أن يظل علي أقواله وانه لم يمسسها وأنها انزلقت ووقعت خطأ .

قالت بيأس يسري حثيثا بإيصالها: وذلك التقرير الذي اثبت عدم عذريتها وتشريح الجثة ، يمكنهم من التشريح إثبات انه من. . . .

قال مقاطعا إياها: دعكي من هذا كله ، فقط عليك إقناعه بعدم تغيير أقواله ولا نطق شيء من الحقيقة مهما حدث.

ثم قال مستدركا وكأنه نسي شيئا في خضم مشاغله: هل وصلتك أي رسائل تهديد أخرى؟

حركت رأسها يمينا ويسارا أن لا فأومأ متفهما وخرجت من الحجرة وتركته ممسكا بهاتفه وبعد فتره استمع فيها إلى محدثه: عظيم، احضرها لي وستأخذ بقية حسابك.

******

دخلت على إيهاب حجرته فوجدته نائما فجلست إلى جواره وهي تتفحص ملامحه، هل يمكن لابنها أن يكون بكل تلك الوحشية ، كيف استطاع أن يفعل ذلك ، ربما لو أحد آخر أخبرها بالأمر لكذبته وصفعته أيضا غير مصدقة أن ابنها بتلك القسوة لكنه اعترف بنفسه، أطلقت تنهيدة حارة لم تخفف شيئا مما يعتمل بداخلها، لم يكن الدافع غريبا عليها فهو من أوصل ابنهما لما هو عليه الآن، تذكر منذ أكثر من خمسة عشر عاما ربما كانت وقتها البداية حين دخل عليه حجرته فوجده يمسك بفرشاة ألوانه ولوح الرسم العريض أمامه وهو يحاول بفرحه إنهاء تلك اللوحة التي قضى في رسمها قرابة الأسبوعين ، في

استنكار نظر له مستخفا بما يفعل وقتها أخبره أنها هوايته ولن يتخلى عنها ، جحظت عيناه وهو يراه لأول مرة يواجهه ويدافع عن شيء يريده لذا لم يجد أمامه سوي تمزيق اللوح وكسر القائم وألقى بألوانه من النافذة وقتها هرعت إليهما بعدما سمعت تهديده ووعيده بالا يحضر له احد أي ألوان أخرى وإلا ستكون العواقب وخيمة، كانت تلك المرة الأولي التي تراه مكسورا باكيا إلي هذا الحد ،لم يكن ليعلم هو إلى أي حد كان يحب الرسم ، كان منفسه ومخرج همومه لكنه وبكل تجبر منعه منه فقط لأنه أحس انه تجرأ ليدافع عن أول شيء يريده بقوه، كل محاولاتها بعد ذلك باءت بالفشل وانتهي الأمر بالقسم بالطلاق أن هو امسك الفرشاة ثانية ، وقتها قتل شيء بداخله لم تدركه سوي الآن، كانت تعلم أن زوجها لم يكن المذنب الوحيد فهي بضعفها وانكسارها تخاذلت عنه ولم تمنحه يد المساعدة التي كان يحتاجها منها فزادت خيباته وانكساراته.

****

دخل والد أفنان منزله وآيات الإحباط تعتلي وجهه وألقي بجسده المنهك علي حافة فراشه وتوسد راحتيه حتى قطع تفكيره صوت زوجته وهي تربت علي كتفه:خير يا حاج ماذا حدث؟

رفع رأسه والدموع تترقرق بعينيه :لقد ضاع حق ابنتنا ، التقارير أثبتت أنها عذراء ورفضوا تشريح الجثة لأنه مضي أكثر من ستة أشهر علي دفنها والجثة قد تحللت ولم يكشف التشريح عن شيء .

اختنق صوته بالعبرات وهو ينطق عبارته الأخيرة كما اندفعت الدموع من عينيها وهي تتخيل ابنتها وفلذة كبدها التي واراها الثرى يتآكل جمالها ويتحلل جسدها فلا يبقى منه سوى عظام بالية، حاولت التماسك لتشد من أذره وقالت ممنيه نفسها: ربما والده يكذب فقط ليخيفنا لنتوقف عن رسائل التهديد كما يعتقد .

قال الرجل بيقين: لا يا حجه لقد كان واثقا من كلامه ومن تهديده

قالت متسائلة : لكن التقارير تقول. .

قاطعها: مزوره ،إنها ليست التقارير الأصلية وليس ذلك بأمر عسير عليه.

_إذا كان كما تقول إذن ما الداعي لتزويرها وقد كان يهددنا بها

قال بجيره: لا ادري ربما خشي أن تتهم ابنه بقتلها ثأرا لشرفه وهذا دافع قوي للقتل لو فقط أثبتنا انها لم تكن عذراء .

قالت بلوم وعصبيه: ابنتنا كانت شريفه وأنت اعلم مني بابنتك

_اعرف لكني أحاول أن أجد تفسيرا لما يحدث

_إذن لماذا لم تقدم طعن في صحة التقارير

_لن يصعب عليه الأمر وسيثبت إنها أصلية ولن نصل لشيء الحل الوحيد هو طلب شهادته وندعو أن ينطقه الله بالحق لتبرأ قلوبنا مما فيه، ادعي يا حجه.

قالت بيقين: يا رب

وما كان الله بمخيب ظن عبد ناداه بيقين .

****

الفصل السابع

كان موعد الجلسة قد اقترب وبدأت رائحة الخوف تعبق المكان وتزكم الأنوف وكان والد إيهاب الأكثر خوفا فمحاولاته في منع إيهاب من حضور الجلسة باءت بالفشل فلم يكن هناك عذر لعدم حضوره ولم يكن هو ليخبرهم بحالته النفسية.

كل ما كان يملك هو توصيته والتشديد عليه بألا ينطق حرف من الحقيقة كذلك فعلت والدته وما كان منه إلا الإيماء برأسه بالموافقة في استسلام .

في خضم تلك الأحداث كانوا قد نسوا أو تناسوا أمر تلك الرسائل والتي توقفت منذ أخبرا والدا أفنان بالحقيقة.

****

كان يوما مليئا بالمفاجآت متضاربا بالمشاعر ما بين خوف وأمل ورهبه وانكسار . .أمام هيئة المحكمة وقف راسخا لا يشي مظهره بشيء مما يعتمل بنفسه. .استمع للقاضي الذي طلب منه إلقاء القسم ليقول الحقيقة وبالفعل ألقي بقسمه وعند سؤاله عما حدث لأفنان زال ثباته الواهي وانعقد لسانه وحاول النطق دون جدوى حتى انخرط في بكاء هستيري فساد الهرج ساحة المحكمة وامتقع وجه والده وهو يراه يهوي أمامه فهرع إليه بينما حاول القاضي السيطرة علي ذلك المرج بعدة طرقات من مطرقته علي المكتب أمامه وقرر تأجيل الجلسة بينما سحبه والده بعيدا قبل أن يسمع أحد نشيجه "سامحيني أنا السبب" ، كانت عيناه عالقة بوالديها اللذين تألما لحاله ولم تقاوم أمها دمعة انسابت من عينيها حزنا عليه وعلي ابنتها الراحلة بينما أيقن والدها أن هناك ما يخفيه ويثقل كاهله مما دفعه لتلك النوبة وأصر علي معرفته ولكن بعيدا عن ساحة المحكمة.

******

بعد ما حدث أصرت والدته إيداعه مصح نفسي ريثما تتحسن حالته لكنه كالعادة رفض خوفا علي سمعته وخوفا من كشف الحقيقة لكنها كانت قد اتخذت قرارا ولأول مرة ثارت بوجهه من اجل وحيدها ، ألجمته ثورتها وأذهلته فهو لم يعتد منها ذلك.

_أنا لن اهتم بشيء سوي ابني ولن يعنيني أحد غيره ولتذهب أنت وسمعتك إلي الجحيم ، أنا لن انتظر حتى يضيع ابني مني وان كان خوفك علي كشف الحقيقة فلتنكشف وينال عقابه لكن يعود لي ابني كما كان، أنا لن أضحي به من أجل أنانيتك وأوهامك.

ود لو صفعها لتبجحها وصوتها الذي علا عليه لأول مره لكن شيئًا في صوتها أنبأه أنها لن تخضع له تلك المرة ولن يتمكن من إيقافها .

أمسكها من ذراعها في حدة وغيظ محاولا كظمه: صدقيني إنني أخاف عليه، طرق الأطباء النفسيين ملتوية وبطريقة أو بأخرى سيعرفون الحقيقة منه دون إرادته .

قالت بجده وهي تنزع ذراعها من يده: ومن أخبرك إنني أخاف من الحقيقة، هو لم يقتلها حقا ، لقد كان حادث وإن كان قد أخطأ في حقها فلينل جزائه وليتطهر من إثمه كي يعاود حياته من جديد، لن أدعه يقضي بقية عمره سجين غرفته معذب بذنبها مدفون بين ثنايا خطيئته ، إن فاتته الفرصة الآن لن يبرا ولن يعود أبدا إلينا .

اندفعت إلى حجرته وسحبته من يده مصطحبه إياه إلى النيابة ليدلي بالحقيقة بينما أوقفها هو معترضا طريقها: فكري ثانية، ستتجرعين مرارات الندم علي ما تفعلين حين ترينه خلف الأسوار مع المجرمين .

قالت في إصرار:فلأندم الآن علي سجنه المؤقت بدلا من أن أندم علي ضياعه مني باقي العمر.

ولكن لدهشتها سحب إيهاب يده منها مبتعدا في انكسار قائلا: أنا آسف لن أستطيع.

نظرت له في دهشة لكنه أكمل وهو مطرقا رأسه وبصوت مختنق: لن أستطيع مواجهتهما بما فعلت، لن أستطيع أن انطق اسمها دون أن يقتلني الألم عليها، سامحيني أنا جبان أعرف ولن أستطيع تحمل تبعات فعلتي.

قالت بصراخ: أنت لست جبان، إنني فقط أساعدك لتتخلص من هذا الألم الذي يسكن روحك ، إلي متى ستظل روحك سجينه ترفل تحت عبء هذا الذنب.

هنا تدخل والده في حزم: انتهينا ، اتركيه لقد أخبرك انه لن يذهب ولن يعترف ولن تفعلي.

نظرت له في لوم ورجاء لكنه انسحب إلي حجرته في انكسار مطأطأ رأسه في تخاذل وأغلق الباب خلفه ، ألقت بجسدها علي المقعد

المجاور ودفنت رأسها بين راحتيها وظلت تنتحب وهي تشعر بالخوف علي وحيدها الذي تراه يضيع من بين يديها وهي لا تملك له نفعا، تتمني فقط لو أن شيئا من هذا كله لم يحدث أو أنه كابوس يمكنها الاستيقاظ منه.

****

الفصل الأخير

كان قد أختار الوقت بعناية فمنذ أكثر من ساعة وهو ينتظر تحت البيت حتى رآهما كل يذهب إلي عمله أو هكذا ظن فما كان يعلم أن والدة إيهاب لم تذهب لعملها اليوم ، وقتها أيقن انه الوقت المناسب لمقابلته .

صعد الدرجات الفاصلة إلي شقته وطرق الباب .

انتظر طويلا حتى أتاه صوت إيهاب مجيبا ثم فتح الباب، اتسعت عيناه دهشة حين رأى والد أفنان أمامه وشله الذهول فلم يستطع أن ينطق فقال له الرجل في ثقة:هل ستدعني أقف علي الباب كثيرا ؟ !

بلا وعي أفسح له الطريق ليدخل وأغلق الرجل الباب خلفه وتقدم إلي الداخل بينما ظل إيهاب في وقفته تلك أمام الباب دون حراك فقال : تعال يا بني أجلس إلى جواري أريد أن أتحدث معك قليلا .

جلس إيهاب كالمغيب إلي جواره وساد صمت مرتقب بينهما ، قال الرجل: أفنان الله يرحمها كانت تحبك كثيرا وتثق بك، أعلم أن فراقها صعب علي كلينا ولكنها إرادة الله ولا راد لقضائه.

أطرق إيهاب ولم يعلق بينما واصل الرجل كلامه: صدقني أنني لا اتهمك ولا ألومك ولكني أب مكلوم ولا أريد شيء سوي معرفة الحقيقة، أن ابنتي ذهبت لبارئها ولن يضيرها شيء لكني أنا المعذب بعدها، شرف ابنتي بيدك يا بني ، اخبرني هل خانتك أفنان كما قال والدك، هل دنست شرفك وشرفي من قبلك؟ أرجوك جاوبني فقلبي لا يحتمل ، ليتني قتلتها قبل أن تجلب لي العار.

هنا هتف إيهاب والدموع تتساقط من عينيه: لا، لا تقل ذلك أفنان كانت أشرف من عرفت وانقي من أن أدنس شرفها بكلمه تقال عنها بباطل، اشهد الله أن أفنان كانت صائنه لعرضك ولشرفك وأن كل ما قيل كان كذب وافتراء.

ثم شرد مكملا في آسي : لم يكن ذنبها، ما كان يجب أن يحدث هذا، لم يكن عليها أن تموت، لقد أخطئني الموت وأصابها لكني أعدك إنني لن أدعه يخطئ الهدف ثانية ، انتظرته طويلا ، كل ليلة كنت أدعوه لكنه لا يستجيب حتى سأمت انتظاره.

تنهد الرجل في حيرة وأكمل: لكن والدك اخبرني إنها لم تكن عذراء وان التقارير. . . .

قاطعه إيهاب في حنق وثورة : كذب ، كذب كلها تقارير مزيفة صدقني ابنتك كانت شريفة ، أنا الذي ذبحتها بغبائي وبجبني نكلت بجثتها .

قال الرجل في حدة وقد اختلط عليه الأمر ولم يعد يفهم شيئا: شيء واحد أريد معرفته وأرجوك أجبني عليه ، هل كانت ابنتي عذراء أم لا قبل موتها ؟

أطرق إيهاب دون إجابة فتوجس الرجل ريبة وأيقن أن هناك سر لا يعرفه فامسكه من ذراعه مجبرا إياه أن يواجهه :يجب أن تتكلم، لم

يعد هناك مجال لصمتك أكثر، أرح قلبي وأخبرني ، هل كانت أفنان عذراء ؟

هز رأسه في انكسار أن لا ، تركه الرجل في ذهول وهو لا يصدق أن ابنته كانت غير شريفة وسقط علي كرسيه ذاهلا فأدرك إيهاب ما يعتمل بصدره فأبى ضميره أن يصمت أكثر فحكى له كل شيء والدموع تكسو مقلتيه بينما كان يستمع له والألم يعتصر صدره وروحه والدموع تتساقط من عينيه وهو يتخيل ابنته ضحية بين براثن هذا الحيوان لا يرأف بها وليس لها من مغيث.

ظل يكيل له الصفعات دون هوادة بينما ظل هو جامدا لا ينم وجهه عن شيء ولا يدفع عن نفسه صفعاته وكأنه يستعذبها حتى جاءت والدته وأبعدته عنه وهي تضمه بذراعيها، ثم نظرت للرجل بأسف: آسفة.

نظر له والشرر يتطاير من عينيه: ليس عليك أنت الاعتذار . .هو من سينال جزاءه كي تبرد دماؤها وتستكين روحها في قبرها

نزع نفسه من بين ذراعيها وواجهه بعينين محتقنتين دامعتين ، أعدك أنني سأصحح الوضع، فقط أمهلني بعض الوقت فقط يومين وسينتهي كل شيء .

رحل الرجل وهو يشعر بألم في صدره ثم استدار قبل خروجه ليواجهه :فقط يومان، لن انتظر أكثر، يجب أن تعترف بكل شيء، لن أسكت عن حق ابنتي.

رحل وهو ولا يدري ماذا يمكنه أن يفعل ولكنه لم يكن أمامه سوي الانتظار يومين كما وعده.

****

عاد والد إيهاب إلى المنزل وما أن رآهما في تلك الحالة حتى استشعر خوفا فقالت له مجيبه علي سؤاله البادي بعينيه دون أن ينطق: لقد كان والد أفنان هنا .

دون أن تكمل فهم كل شيء وعرف أن كل اتصالاته ذهبت هباء وأن إيهاب ضعف واعترف له بكل شيء فارتمي محبطا علي أقرب مقعد وقال متسائلا: وماذا قال؟

_القصاص فقط لا يريد سواه.

صمت لحظه يعيد حساباته ويقلب الأمر من كل الزوايا وفجأة لمعت عيناه وقال في زفر: ليس عليك سوى الإنكار ، لن يستطيع أن يثبت شيئًا مما قالت حتى وإن كان قد سجل لك يمكننا الطعن في صحة التسجيل وع.....

قاطعه في حنق: لا أريد رأيك، أرجوكم دعوني وشأني وتركهم واعتزلهم في غرفته.

صدم والده من رده فعله لكنه تركه كي لا ينهار ثانية بينما جلست هي والصمت لا يفترقان وهي لا تدر ماذا عساها أن تفعل له ، لكنه لم يكن أمامه سوى الاعتراف كما وعده .

****

كانت بمكتبها والشرود يكتنفها ولا تكاد تعي شيئا مما حولها حين وصلتها تلك الباقة من الورود ، التقطت البطاقة المرفقة معها بشرود ولا مبالاة فما عاد يعنيها كلمات معجبيها من القراء وبذهن شارد مررت عينيها علي تلك الكلمات المدون بها "سامحيني، لم يعد هناك مجال أكثر للكذب أو الخداع

لابد وأن يكون القصاص ، لقد سأمت عذاباتي

سأرحل لأرتاح من طيفها الذي يجلدني كل ليلة

سامحيني يا أمي ولا تتعذبي في بعدي كي ترتاح روحي واغفري لي فلم أعد احتمل"

هلعت حين قرأت تلك الكلمات وتناولت هاتفها في ذعر وهي تحاول الاتصال به لكن دون جدوى فاتصلت فورا بزوجها تخبره بما حدث وهي بطريقها إلي البيت وهي تلعن غبائها الذي جعلها تغفل عن هذا الاحتمال فتركته دون رقيب ، هذا ما كان يعنيه هذا هو القصاص الذي وعد به والد أفنان كيف لم تفكر في الأمر من تلك الزاوية، حين وصلت حاولت أن تفتح الباب بمفتاحها لكنه كان مغلقا من الداخل ودون جدوى كانت محاولاتها لكسره حتى سقطت من إعيائها وهي تنتحب وتستجديه أن يفتح الباب وألا يؤذي نفسه وأن كل شيء يمكن مداواته لكن لم يأتها رد حتى وصل زوجها بعد قليل واستطاع كسر الباب ليجدوه في غرفته غارقا في دمائه وإلي جواره شفره حادة فأسرع طالبا الإسعاف متمنيا ألا يكون الأوان قد فات.

****

بعد ساعات بغرفه العمليات خرج الطبيب ليطمئنهم علي نجاته لكن الحالة مازالت حرجه بسبب فقدانه الكثير من الدماء ثم طلب منهم مراعاته وعرضه علي طبيب نفسي لمعرفة دوافعه للانتحار ، لم يكن الأمر يحتاج تفسيرا فكل شيء بات واضحا ، إنه القصاص إلى وعد به وإحساسه بالذنب الذي دفعه للانتحار متمنيا الموت حتى يلقي نفس المصير الذي آلت إليه هي ، نظرت له نظرة فهم مغزاها وقرأ اللوم والحنق بها فأطرق هاربا من نظراتها .

****

أسبوع وتحسنت صحته الجسدية بينما نفسيا ظل الوضع خطرا خاصة عندما نبههم الطبيب إلى احتماليه تكرار محاولته للانتحار ثانيه أن بقي دون رعاية نفسية لذا لم يتوان والده تلك المرة علي متابعة الطبيب الذي استطاع بعد عدة جلسات أن يتفهم كل الملابسات التي

حوطته وقد أصر أن يتركوه ليعترف بجرمه لينال عقابه ففيه شفائه بينما كانت المفاجأة التي أذهلتهم عندما اخبرهم الطبيب بشأن الرسائل التهديدية وهو أمر لم يذكراه له ربما لأنهما نسياه في خضم معاناتهما لكنه أخبرهم انه عرف منه في إحدى الجلسات انه هو من كان يرسل تلك الرسائل .

قالت والدته في ذهول متربع علي عرش كلماتها ومتوسد ملامحها: ولكن كيف ' إنه لا يجرؤ علي النظر إلى طير مذبوح ، كيف أمكنه ذلك؟

قال الطبيب رادا عليها: مبدئيا لابد وأن نتفق إنه لم يكن إيهاب هو من فعل ذلك أو بالأحرى انه لم يكن في وعيه ، لقد كان يخرج ليلا بعد نومكم لشراء تلك الحيوانات ومن ثم يقتلها بتلك الطريقة السادية أو"الساديزم" كما هو معروف في علم النفس ثم يعود ليضعها أمام المنزل وتفاجأ بها مثلكم تمام بل ويرتعب منها أيضا لأنه حقيقة لا

يعرف عنها شيئا، أما عن الدافع فهو شيئا يعتمل بعقله الباطن ناتج من إحساسه بالذنب الذي كبله فقرر الانتقام من نفسه ومنكم لأنه يراكم شركاء معه في جرمه لكن عقله أبى إلا أن يعذبه بتلك الرسائل في البداية قبل أن ينفذ خطوة الانتحار.

قال والده وقد غلبته دموعه لأول مرة : هل إيهاب فقد عقله؟

قال الطبيب: ليس بالمعني الذي تتخيله ، لكنه يعاني من حاله ذهان أو فصام تجعله يتصرف كشخص أخر لا يعلم هو نفسه عنها شيئا ولا يكاد يتنبأ بتصرفاتها وذلك بدافع من عقله لإسقاط جرمه علي غيره ليتحرر من عذابه فما كان بمقدوره نسيان ما حدث ولا مسامحة نفسه عليه، لا تقلق من كلامه استطيع أن أجزم أن المرض في بداياته ولم يتفاقم بعد لكن أن ظل إحساسه بالذنب يلازمه لا أضمن لكم ماذا يمكن أن يحدث في المستقبل .

رحلا وكل منهما في واد فها هو ابنها الذي حاولا بكل الطرق توفير سبل الراحة له يضيع من بين أيديهما ولا يتخيلان إلى أي مدي قد تتدهور حالته أكثر وكأنه لم يعيشا معه في يوم.

****

جاء موعد الجلسة المؤجلة وفي تلك المرة قرر والده أن يدعه يعترف بفعلته فما كان أمامه خيار آخر وبعد عده جلسات كان قد استطاع أن يتمالك نفسه وبالفعل حكي كل شيء والألم يعتصره والندم جليا علي صوته وملامحه.

ربما كان القاضي قاسيا في حكمه وربما كانت سنوات السجن ثقيلة علي مثله لكنه القصاص ، بكت والدة أفنان ألما علي ابنتها وكأنها ماتت اليوم فنبش الحقائق يؤلم الموتى كما الأحياء، دعت لأبنتها بالرحمة والسلوان في مثواها الأخير .

تقبل هو الحكم بقلب راضٍ ونفس مطمئنة فهذا هو القصاص الذي تمناه شهور طوال جلده فيها ضميره وعذبه قد فاض كيله بينما قدم والده استقالته بعد اتهامه بتضليل العدالة وتزوير الحقائق وانتهي تاريخه المشرف والذي حاول الحفاظ عليه طوال عمره وبذل من أجله كل نفيس بوصمة عار جعلته يترك الخدمة مرغما بعد أن فقد كل دروعه وأعجزته المحن، أما إيهاب فلدهشتهم عادت إليه روحة القديمة ، عاد إيهاب الذي عرفوه ، هادئ النفس وكأنما روحه أبت العودة لذلك الجسد إلا خلف القضبان ، انه القصاص العادل الذي أراح ضميره وطهره من خطاياه ليتحقق قول الله العدل "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " .

تمت بحمد الله